جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد الواحد والتسعين/ السنة الثانية والخمسون

جمادى الثانية – ١٤٤٤هـ / كانون الأوَّل ٢٠٢٢/١٢/٢٩م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلميَّة الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانيَّة

باللغة العربيَّة واللغات الأجنبيَّة

ملحق العدد الواحد والتسعين السنة: الثانية والخمسون/ جمادى الثانية – ١٤٤٤هـ / كانون الأوَّل ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب (علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق

الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي (اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

الأُستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

الأُستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة (اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن

الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني (التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق

الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار (التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية

الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد (الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر

الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو (اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا

الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة

الأُستاذ الدكتور كلود فينثز (اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا

الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز (الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة

الأُستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم (الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوّم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أحمـــــد محمود – مقوّم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعـــــــة:

مترجم.إيمان جرجيس أمين – إدارة المتابعـــــة

مترجم.نجلاء أحمد حسين – إدارة المتابعـــــة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشِّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــويـــات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
صور إضافة الظرف (مع) إلى ضمير المُخاطب ودلالاتها في القرآن الكريم أحمد عبدالستار فاضل و فراس عبدالعزيز عبدالقادر	30-1
الآخر محاربًا في شعر ابن الدَّهان الموصليّ (ت581هـ) عجيل مد الله أَحمد و مقداد خليل قاسم	80 -31
الطَّيفُ في شعرِ ابنِ نُباتةَ المَصريّ فارس ياسين محمد الحمداني	102 -81
اعتراضات نُقْرَه كار (ت776هـ) الصرفيَّة في شرح شافية ابن الحاجب (646هـ) هلال علي محمود	132 -103
الشخصية الإشكالية ومستويات وعيها في عالم (متاهات) برهان شاوي الروائي نورا وريا عزالدين و شادان جميل عباس	172 -133
الزمن السّردي في قصص جابر خليفة جابر يونس جاسم محمد سالم و بسام خلف سليمان	198 -173
الصورة المشهديَّة: الثابتة والمتحرِّكة في شعر حسب الشيخ جعفر ملكة عصام ياسين	219 -199
التوكيد بوصفه عارضًا نحويًّا في الحديث النبوي الشريف حديث: "إِنَّما الأَعمالُ بالنيَّات" أُنموذجًا مصعب إسماعيل عمر و ثامر عبدالجبّار نصيّف	244 -220
أَنماطُ الحالِ ودلالاتُها في معلَّقةِ طرفة بن العبد إسماعيل حميد حمد أَمين و مظفر الدين عثمان حمد صالح	265 -245
دلالة الأَفعال المقيَّدة بحرف الجر في قصيدة مديح الظل العالي لمحمود درويش إسراء غانم أَحمد	301 -266
الارتداد الزمني في رواية ظلال الوأد لـ(منيرة السبيعي) سروى صباح رجب	329 -302
تنوع الدلالات في نماذج مختارة من شعر الهذليين أَحمد يعقوب الجبوري	352 -330
ميميَّة حسَّان بن ثابت ألم تسأل الدار "دراسة تحليليَّة نقديَّة" وضَّاح حسن خضر حسن	372 -353
الصورة بوصفها إدانة للواقع في رواية (العراق سينما) لأَحمد إبراهيم السعد ليث طالب ذنون	386 -373
المعرب على أَكثر من ثلاثة أَوجه من المصدر المعرفة المنصوب المحذوف فعله في كتاب الدر المصون للسمين الحلبي شذى محمد مصطفى رشيد	405 -387
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة	
العلاقات الاقتصاديَّة التركيَّة الليبيَّة 1989-2011م صبا طلال عمر طلال و محمد علي محمد عفين	420 -406
مُعلِّمو السلاطين العثمانيين الشيخ آق شمس الدين أُنموذجًا (1389-1459م) دراسة تاريخيَّة أَمين غانم محمد و عماد عبدالعزيز يوسف	455 -421
انتفاضة علي باشا جان بولاد في ولاية حلب 1605-1607م أَحمد محمد نوري أَحمد العالم	489 -456
كتابُ "تاريخ مدينة السلام" ومؤلِّفه الخطيب البغدادي حميدي خضير جمعة	508 -490

بحوث علم الاجتماع	
منظمات المجتمع المدني ودورها في الاستقرار السياسي دراسة تحليليَّة في علم الاجتماع السياسي إيمان حماديّ رجب و حسن راشد جاسم	509 - 535
عزوف التلاميذ والطلبة عن التسجيل للدراسة التركمانيَّة في محافظة نينوى (الأَسباب- النتائج- الحلول) عدنان حازم عبد أَحمد	536- 570
بحوث الفلسفة	
فلسفة أَفلاطون على نظريَّة الفارابي السياسيَّة (دراسة تحليليَّة مقارنة) ليلى يونس صالح	571- 601
بحوث الشريعة والتربية الإسلاميَّة	
خصائص النبي (ﷺ) في الآيتين (157_158) من سورة الأَعراف -دراسة تحليليَّة تفسيريَّة- نغم قاسم أحمد الأَرمني و رائد سالم شريف	602- 621
بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة	
المكتبة العامة المركزية في الموصل: دراسة في واقعها ومقترحات تطويرها وسن سامي سعدالله	622- 649
بناء نظام خبير لتصنيف الرسائل والأَطاريح الجامعيَّة باستخدام خوارزميَّة (Naïve Bayes): دراسة تجريبيَّة إيناس جاسم هادي	650- 689
بحوث علم النفس وطرائق التدريس	
اتجاه طلبة الجامعة نحو التعليم الإلكتروني وعلاقته بالتنظيم الذاتي الأَكاديمي عدي نعمت بطرس عجاج	690- 737
صعوبات تدريس مادة الفيزياء في المرحلة الثانوية من وجهة نظر مدرسي الفيزياء في مدينة الموصل طارق موفق سحري	738- 776
بحوث القانون	
أثر حالة الضرورة لارتكاب الجريمة في المسؤولية في الشريعة الإسلاميَّة والقانون العراقي شيروان عمر رسول و عادل عبدالله حمد	777-817

CC BY

الطَّيفُ في شعرِ ابنِ نُباتةَ المَصريِّ

فارس ياسين محمد الحمداني *

تأريخ التقديم: 2022/11/20 تأريخ القبول: 2022/12/3

المستخلص:

يشكل الطيف في القصيدة دورًا كبيرًا في ثناياها وبنائها الفني والموضوعي وله دلالات مؤثرة وفاعلة، فالشاعر يضع فيها قوة خياله، في ذكر المرأة وتذكرها ووصف محاسنها، فالطيف عنده يثير فكرة الشعور بالانفصال والبعد ويمتلك قوة هائلة في التأثير للحالة النفسية للشاعر أولاً، والمتلقي ثانيًا فقد أرضت غريزته الشَّعرية وأشبعت حاجاته الإنسانية، وألفاظ الشاعر تخرج من دلالاتها المعجمية إلى إيحاءات مخفية في ذاته يحاول بيانها للمتلقي، فموجودات الطبيعة كانت المادة الخام للشاعر يعبر بها عن طيفه الزائر المتخيل, ويتمثل بها إشباعًا لحاجاته النفسية الإنسانية، كما أَنَّ العاذل كان مشخصًا أَيضًا في النصوص إكمالاً لدلالاته الشَّعرية، فالشاعر يدرك تمامًا أن نصوصه لن تتلقى الاستجابة المطلوبة مالم تحقق الإبداع في التشكيل والتلقي، فعمد إلى تنويعها حتى تحقق الغرض، ولا يمكن الفصل بين الشاعر/ الإنسان وبين خياله المتمثل بالطيف وما يحمله من تأثير على الذات، فشعوره ملازم للطيف، وهو بالطيف يعبر عن شكواه وألمه وحزنه للفقد والهجر والرحيل، وقد ارتبط الطيف بموجودات الطبيعة وصور اجتماعية تمثلت بالعاذل؛ إذ بنى الشاعر بنصوص الطيف صورًا متكاملة ، كانت لوحات شعرية معبرة عن ذاته؛ ليقدِّم بها تجارب مع المرأة متنوعة الثراء والدلالة، والطيف عند ابن نُباتة يقوم على عنصري الإيحاء والخيال، يعبر به عن مكنونات ذاتهِ ودواخله العميقة.

الكلمات المفتاحية: تشكيل، ألفاظ، شاعرية.

مدخل:

* أُستاذ مساعد/قسم اللغة العربيَّة/ كلية الآداب/جامعة الموصل.

يُطلق الشاعر العنان لخياله لتقريب المسافة بينه وبين المرأة، فيخوض في ميدان كبير وواسع ليشعر بالمتعة بأَحلام اليقظة، فيتصارع الحرمان مع اللذة والمتعة، فينتج لوحة مكتملة الأركان عن طيفه المتخيل، فذكره للطيف صراع بين غياب حقيقي ووصل متخيل يُمني الشاعر بها نفسه، فالطيف عنده امتداد وجداني لإحساس الحب والعاطفة، فالحب تجربة إنسانية ذاتية تمتزج فيها الغريزة الطبيعية امتزاجًا يجعل منها سبيلاً للتعبير عن أَشواق الإِنسان وحنينه ومشاعره الباطنة نحو الحياة والمرأة، ويبني صورته الشَّعرية، فالطيف ((شكل فني ونفساني من أشكال التعبير عن الوعي الممزق بين مثال إِرضاخي وحاجة تشكل البؤرة المركزية في تركيبته الماهية البشرية، فبقدر ما يعكس الطيف امتثال الشاعر للمثال فإنه يبدو محاولة تبذلها الروح ابتغاء تحرير الإرادة من أسارها)) [1] بمتخيلات تؤلف بين الحلم والواقع ولغة الشعر؛ إِذ ((يختزل الطيفُ الزائرُ المسافات الطِّوال، ويقتصر الأَزمنة المتباعدة في لحظة الفجأة في الزيارة، ويقربها فيتجسد ظاهرة إِنسانية – فنية)) [2] فكان طيف المرأة ملهمًا للشاعر فيه ينابيع من العاطفة والشوق والانفعالات والأَحاسيس، فصورة المرأة تحتل مساحة الطيف عند ابن نُباتة، ونصوصه الطيفية رؤية واعية وتأسيس معرفي يمنح الفرصة للشاعر لبناء أفكاره وخياله، فـــــــ ((الطيف بذاته تعبير عن حالة الإِحساس بالحضور الإنساني في اليقظة أو النوم، وتصبح الأنماط المختلفة لوحدة الطيف تجليات لهذا الحضور وتجسيداً فنياً لها)) [3]، فالطيف الزائر يطرق خيال الشاعر، وله رؤية خاصة فيه، إذ يضعها مع الطبيعة مرة

(1) الغزل العذري – دراسة في الحب المقموع – يوسف اليوسف، دار الحقائق، ط2، 1982م، ص87.

(2) مقدمة القصيدة في الشعر الموصلي في القرن الثاني عشر للهجرة، أ.م.د. شريف بشير أحمد ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، كلية التربية الأساسية جامعة الموصل، المجلد 12، العدد 4، ص 227.

(3) الطيف في شعر البحتري – دراسة في الظاهرة أصولها وأبعادها، رسالة ماجستير، هاني توفيق أسعد أحمد نصر الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، بإشراف د. عبدالقادر الرباعي، نيسان، 1989م، ص 48.

فتكون عناصر الطبيعة العنصر الذي يبثُ الأنس والطمأنينة في الذات، وغدت تلك العناصر بنيات ذاتية وتجليات لرؤية الشاعر للطيف ووعيه الذاتي، والعاذل مرة أخرى، فكل شيء فيهما يذكره بالمرأة، والطيف ليس تجليًا يسعى إلى القبض على لحظة ما في حياة الشاعر فحسب، أو توثيقًا لتجاربه المتعددة مع المرأة فقط، بل هو حمّال معرفة توسلت باللغة لصياغة خطابها وتحول الطيف إلى نسق دلالي وثقافي وشعري يستوعبه المتلقي بفعالية بارزة[1]، وكثيرًا ما نتعرف على ذات الشاعر من كلامهِ عن طيفهِ وما يثيره أو يؤنبه أو يستثيره، فالطيف يضمر بين جنباته رغبة الشاعر الواعية في أَن يضع طيفه المتخيل أَمام مرأى المتلقي، فهو يشكل ضغطًا كثيفًا على ذاكرة الشاعر بما تمليه عليه من ذكريات وحنين وشوق وتذكر؛ فوفاء الشاعر للمرأة حتى في خياله وفاء مقصود ومتعمد صادر عن تمثل واعٍ للنسق الشَّعري، وهي مناسبة مثيرة للحديث عن الذكريات، ويتداخل الطيف مع التخييل الشَّعري، فالطيف ((اسم لصورة المحبوب إِذا حملته النفس في قوتها المتخيلة حتى تكون نصب عينيه.... فإِذا نام الإِنسان أَو استيقظ لم تحل من قيام تلك الصورة فيها)) [2]، وبالطيف يتأجج الشوق عند الشاعر بترجيع للهموم والآلام ، فخيال المرأة يتمثل له بيقظته ونومه، والطيف رمز الشوق وتعبير عن التطلع من مكان العزلة والبعد إلى الأَنيس والمرأة المفقودة أو البعيدة، وهو الدواء الشافي لكل محبوب مهجور تطاول غمه وأرهقه الفراق، وهو خير معوّض للهجر والصدود، فالطيف ((وسيلة من وسائل التخفيف عن الذات التي تشعر بالحرمان، وتفريغ الشحنات والرغبات المكبوتة بسبب

(1) ينظر: المرجعية المعرفية للمقدمة الطللية بين الجاهلية وصدر الإسلام – دراسة في النسق الثقافي، أطروحة ، دكتوراه، خميسي آدامي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والادب العربي، جامعة باتنة، بإشراف أ.د. عبدالقادر دامخي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2016 – 2017، ص 15.

(2) الهوامل والشوامل، التوحيدي ومسكويه ، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صفر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 306.

المجتمع أو الأعراف))[1] من جهة وطبيعة علاقتهِ بالمرأة من جهة أخرى، فيكشف الشاعر بطيفه المتخيل عن قدراته الإبداعية.

أَولاً: الطيف والطبيعة:

يعيش الشاعر حالة من الغياب في الحقيقة ليشهد حضوره الخاص – حضور المرأة – التي تطرق خياله، فالحضور الطيفي يتم في الغياب الحسي في (أثناء النوم والحلم) فيزوره الطيف، الذي يعد من مكونات هيكل القصيدة وظاهرة معروفة رافقت القصائد منذ نشأتها، فهو ((انتقال من عالم إلى آخر مختلف في طبيعته وزمنه (داخلياً) من حيث الواقع والخيال ومن الحاضر والماضي وهذا (الداخلي)متأثرٌ بـــ (الخارجي)))[2] الذي يتمثل في طبيعة ظروف الشاعر وأحواله النفسية، ويأتي استعماله لعناصر الطبيعة خدمة لموضوعهِ الشَّعري الذي يجعل من الطيف خيالاً رمزيًا نابضًا بالحياة يعبر عن ذاته ونفسيته المشتاقة، ولن أبالغ إذا قلت إن المرأة هي منبع الإلهام عند الشعراء أغلبهم، وكذلك في واقعهم وخيالهم، فكانت ملهمةً لابن نُباتة المصري في طيفه وكانت صورتها معنوية أكثر من كونها مادية، فالطيف هو المعادل الموضوعي للمرأة المتخيلة، والشاعر يشتاق ويتلذذ بوصل المرأة الحقيقي، وفي الوقت نفسه ينقاد إلى التخيل المتراوح بين التعلق بالماضي الجميل والضيق بالحاضر المنطوي على الهجر والحرمان[3]، وقد يأس الشاعر من اللقاء فصار يمني نفسهُ معها بالطيف الذي صار عزاءه الوحيد، ينبعث به الشوق الساكن، فصار يوظف

(1) الخيال البصري في لوحة الطيف الجاهلية – عطش الغياب وحلم الوصال (دراسة تحليلية) د. مشتاق طالب منعم، جامعة واسط، كلية التربية الأساسية، مجلة كلية التربية، العدد 35، آيار 2019، ص 103.

(2) شعرية الطيف بين الجاهلية والإسلام، عباس محمد رضا، مجلة جذور، الجزء 22، المجلد 10، ذو القعدة 1426ه – ديسمبر 2005م، ص 304.

(3) ينظر: حركة النقد العربي القديم حول الشعر الجاهلي، د. ريم هلال، الأردن ، الجامعة الأردنية ، 1993 م ، ص 155.

معه عناصر الطبيعة تلبية لرغباته، واشباعًا لذاته، فبالطيف يكشف الشاعر عن خبايا نفسه تحكمه النوازع النفسية وميوله ، فيتجه إلى تحقيقها.

يتعمق الانفعال عند الشاعر حين يقع تحت وطأة الخيال ويشعر بزيارة الطيف له، يقول [1]:

تَـــأوّبَ كالبـــدرِ فـــي جنحِـــهِ وأَيـــنَ العواصـــمُ مِـــن ســـفحهِ

خيـــالٌ يَـــزورُ أَخِيـــرَ الـــدُّجى فَتحسُـــبهُ مبتـــدأ صُـــبحهِ

وقـــد ضَـــمَّ جِفنـــي بِزيـــرِ الكـــرى فَيعُـــربُ فـــي الحَـــالِ عـــن فتحِـــهِ

هـــوى شَـــارح لـــي حَـــديثَ الغـــرامِ فـــلا تَســـأل القَلـــبِ عـــن شـــرْحِهِ

تَعَشـــــقْته شـــــاهرَ الـــــوجنتينِ بمـــا لقـــى القلـــبُ مـــن جرحِـــهِ

لَـــهُ سَـــيفُ لحـــظٍ أَراق الـــدّماءَ فحمـــرةُ خديّـــهِ مِـــن نضـــحهِ

كـــأنَّ عذاريـــهِ خـــطُ الجمـــالِ تميـــلُ النفـــوسُ إلـــى لمحـــهِ

يتحرَّك الطيف بالخيال، فيوظِّف الشاعر عناصر من الطبيعة بأشكالها المختلفة (البدر، سفحه، الدجى، صبحه) مع صورة لونية حسية (فحمرة خديه) فيعبِّر بها عن حاجاته وأحواله النفسية والعاطفية ويلبي رغباته ويشبعها، فبه يوجد لنفسه واقعًا يلجأ إليه وقت الحرمان والشوق، فيشبه الطيف بالبدر بجماله وحسنه وصفاته العليا، وهي كالمدينة العالية فوق السفح وتزوره آخر الليل، فيحسب الشاعر بداية صباحه حقيقة، ويحرمه النوم طوال الليل (وقد ضم جفني بزير الكرى) فيتمثل بها الغرام كله

(1) ديوان ابن نُباتة المصري، الشيخ جمال الدين بن نُباتة المصري (ت 768ه)، مقدم الطبعة: د. عوض الغبارى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م، ص 109-110.

وقلبه مشغول بها، فالطيف بخياله يفجر الشوق عند الشاعر ويحرق فؤاده للقياها (فلا تسأل القلب عن شرحه) فيسترجع همومه ويستذكرها، ويشكو بالوقت نفسه غيابها ويشعر بالوحدة من دونها، وهنا يظهر صدق العاطفة، ثم يبدأ بوصفها (شاهر الوجنتين) حتَّى وهي بعيدة عنه وهو يشكو ألم هجرها وفراقها (بما لقى القلب من جرحه) ولها (سيف الحظ) بتشبيه بليغ يؤكد جمالها وحسنها وتميزها، وحمرة خدودها كأنَّها دم يسيل، فالطيف ما هو إلَّا دلالة لواقع تجارب الحب عند الشاعر يعبِّر في تشكيلها عن الحالة القائمة بينه وبين المرأة، ويعيش بها تجربته الواقعية، ولا مناص له من التعبير عنها، ثم يشبه شعرها الذي يحاذي الأذن (كأن عذاريه) بالخط المستقيم المعتدل المعروف بالجمال، والنفوس تميل إلى رؤيته ومشاهدته والتمعن فيه (تميل النفوس إلى لمحه)، وغاية الشاعر توظيف الفاظ الطبيعة كي يصل إلى غايتهِ مع الطيف المتخيل، ويعالج بها توتره، ويكشف عن أحاسيسه وعواطفه، فالطيف والخيال أحدها مكمل للآخر في إكمال غاية النص، والطيف المتخيل ليس معزولاً عن بقية أَجزاء القصيدة وصورها إنَّما هو نسق من أنساقها يتوحد مع بقية الصور لتشكيل بنية فنية موضوعية للنص الشَّعري لإكمال غايتها المرجوة، فضلاً عن أَنَّ الأَفعال التي تحملها الذات الشاعرة (ضم، يعرب، تسأل، تميل) تقودنا إلى منظومة فعلية تعمل باتجاه خدمة الموضوع الشَّعري الغزلي الطيفي الذي أراد الشاعر بيانه للمتلقي، كما أن الزمن الطبيعي (الدّجى) بسواد الليل وظلمته قد لبَّى للشاعر حاجته فكانت جزءًا من الحنينِ إلى الماضي وإثارة مواجعهِ ومعرفة تجاربهِ وانفعالاته، واسترجاع ذكرياته، وآهاته ولوعاته وسكب دموعه وإظهار وجده، وقد وصف الطيف بأبهى الصفات وأجملها.

ويخلط الشاعر بين الطيف المتخيل والطبيعة بصورٍ منوعة ليقدم صورة كلية عما يبتغي ايصاله للمتلقي، ويركن إلى الفاظ الطبيعة لتخدم دلالاته الشَّعرية، يقول [1]:

نجـــومُ تراعيهـــا جفـــونٌ ســـوانحُ ولا طـــيفُكم دانٍ ولا الليـــلُ نـــازحُ

(1) الديوان / ص 110

أباخلـــةً عنِّـــي بِطَيـــف خيالِهـــا عَسى ولَعـلَ الـدّهر فيـكَ يُسـامحُ

وتاركـــةُ قلبـــي كليمًـــا ونـــاظري ذبيحًا ولا في العيشِ بعـدَكَ صـالحُ

لمحتـــكَ للبـــينِ المصـــادفِ لمحـــةً فطاحـــت بأَحشـــائي إِليـــك الطـــوائحُ

وما أَنـــتَ إِلاّ الظبـــي جيـــداً ومقلـــةً فلا غَروْ إِن أهوت اليـــكَ الجـــوارحُ

جـــوارحُ ينمـــو شـــجوُهَا وســـقامُها (علـــيّ ودونـــي جنـــدلٌ وصـــفائحُ)

وقلبٌ عصى فصحى عليـكَ وسـلوني فأَبعـدَ شـيء صـبرُهُ والنصـائحُ

وضـــاقتْ علينـــا عينُهـــا فتمنَّعـــتْ وهيهاتَ أَن تسخوَ النفوسُ الشـحائحُ

ولم أَنسَ يومَ البـينِ أَيمـاءَ طرفِهـا وعـيسُ المطايـا للفـلاةِ جـوانحُ

الطيف الزائر لا يكتسب دلالة إِلَّا بحضور ذات الشاعر، فتكون كثيفة ومركزة وتنهض بوظيفتها الشَّعرية، فيقدم الشاعر خيالاً ناطقًا بذكره كل تفاصيل الطيف ومدى تأثيرها عليه (وتاركة قلبي كليمًا...)، فاللطيف صلة حميمية برؤية الشاعر ويتجلَّى ذلك كلُّه في خياله، فتشكل الألفاظ الدالة على الطيف دلالة الرؤية التي تقدمها الذات، فالليل يرافق الطيف في أَغلب الأحيان، ونلاحظ هنا: (النجوم، الطيف، الليل) وفاعليتها في الحضور الشَّعري، فيؤسس الطيف رؤية جديدة عند الشاعر بتخيله للمرأة / الزائرة، مع استثمار الزمن الطبيعي (الليل، الدهر) وعناصر الطبيعة المتنوعة من (نجوم، ظبي، عيس المطايا)تأتي مع صورة ، فصارت نجوم السماء تراعي حالته المأساوية (نجوم تراعيها) فلا طيفها يقترب منه، ولا الليل يزول همّه قليلاً، فهي بخيلة بالزيارة حتى في خيالها وطيفها (أباخلة عني بطيف) فتركت قلبه مُخضبًا بالدماء، وعيونه مذبوحة باكية، ولا يرى من العيش سعادة إلا معها، فيلمح طيفها وخيالها أينما التفت، فصارت كل أحشائه تناديها (لمحتك للبين...) ثم يبدأ

يوصفها ويصور طيفها المتخيل (وما أَنتِ إِلَّا الظبي...) ويتحدث عن تجربة مضت (وتاركة) تشعرنا أن تجربته تمتد إلى زمن النص، فاللحظة الطيفية تتم في عزلة تامة عن العالم الخارجي وفي لحظة غياب يبدو فيها الشاعر معزولاً عن العالم، فالطيف يمارس دورًا مزدوجًا فهو حين ينفرد بالشاعر يعزله عمَّا حوله، ويخرجه من هذه العزلة في الوقت نفسه بتوحده به محيلاً لحظة الغياب التي يغوص فيها الشاعر إلى الداخل إلى لحظة من الغياب الظاهري، إذ يمنحها بحضوره حضورًا خاصًا يعيشه وحده[1]، حتى أَنَّ قلبه انعزل عنه وصار الطيف يلاحقهُ ويلازمهُ وهو يصبُّر النفس ويمنيها بأمل العودة، فذاتُ الشاعر هي الفاعلة في تشكيل الطيف المتخيل، وهذا النص مشحون بانفعال حاد، وإحساس ضيق يلتجئ إلى المتخيل، والطيف يتم هنا في زمن الغياب (تاركة قلبي، لمحتك...)، فيسري في ذات الشاعر ليواجه به الغياب المفقود، ويترجم أوصاف طيفه، ودمج النسيب مع الحب اللطيف المفقود، فهو تعطش القلب وصوته نحو المحبوبة والحنين لها، والطيف ((تجسيد تصوّري لحالة الحضور، وعدم طروقه تكريس لحالة الغياب والفقدان، وإِذا غاب الشخص وغاب طيفه معًا تتولَّد حالة من الفقدان المضاعف)) [2]، ثُمَّ نحس بعودة الشاعر إِلى الوعي بعودة الخطاب إلى نفسه (ولم أنس) فنصه الطيفي هنا جاء لخدمة حاجة في النفس والذات؛ لما للطيف من أبعاد نفسية مثيرة.

إِنَّ الإِحساس بوحشة الليل يدفع الشاعر إلى الخلاص منه بالبحث عن الكواكب والنجوم لتلبي ما في نفسه مستبشرًا بالطيف، يقول [3] :

أهلاً بطيفٍ علـــى الجرعـــاءِ مختـــلسٌ والفجرُ في سحرٍ كالثغرِ فـــي لعـــسِ

والنجمُ فـــي الأُفـــق الغربـــي منحـــدرٌ كشعلةِ سقطتْ مِـــن كـــفِ مقتـــبسِ

يا حبذا زمـــنُ الجرعـــاءِ مِـــن زمـــنٍ كـــلُّ الليـــالي فيـــه ليلـــةُ العُـــرسِ

(11) الطيف في شعر البحتري/ ص 91

(2) الطيف في شعر البحتري / ص 77

(3) الديوان / ص 263.

وحبذا العيشُ مَعْ هيفــاءَ لــو بــرزتْ للبدرِ لم يزهُ أو للغصــنِ لــم يمــسِ

خود لها مثل ما في الظبي مــن ملــحٍ وليس للظبي ما فيهــا مــن الأُنــسِ

محروســةٌ بشــعاعِ البــيضِ ملتمعًــا ونــورُ ذاكَ المحيــا آيــةُ الحــرسِ

يسعى ورا لحظها قلبي ومــن عجــبٍ سعيُ الطريدةِ فــي آثــارِ مفتــرسِ

ليتَ العذولَ علــى مــرآى محاســنِها لو كانَ ثنَّى عمى عينيــهِ بــالخرسِ

إنِّــي وإن علقــت بالقلــبِ صــبوتُهُ لمحوجِ العيسِ طيّ الضوءِ والغلــسِ

سفينةٌ ليس تجــري بــي لــذي بخــل إنَّ السفينةَ لا تجري علــى اليــبسِ

يجمع النص بين صورٍ منوعة ليقدم صورة كلية عمَّا يبتغي إيصاله للمتلقي، ويركن إلى أَلفاظ تخدم تلك الدلالات، فيجمع أَلفاظ الطبيعة المتحركة والساكنة (والفجر، والنجم، الليالي، ليلة، للبدر، للغصن، الظبي، الطريدة، العيس، السفينة، اليبس) مع الزمن الطبيعي والاتجاهات (الأفق الغربي، الليالي) مع مجموعة من صورٍ لونية متكونة داخل النص (شعلة، شعاع البيض، نور، الضوء) فجميعها كونت صورًا جزئية، ثم أعطت صورة كلية عن الطيف المتخيل عند الشاعر، وتدل على الحوار الواعي بين ذهنيته الإبداعية وواقعه المعاش، وخياله الشَّعري الواسع الكبير، فموجودات الطبيعة وظواهرها وزمنها هي المادة الأساسية الخام للشاعر، فشكَّلت نسقًا ثقافيًا يعطي صورة للطيف المعاش بذهن الشاعر، والطيف يهيج مشاعره، وحضوره بالخيال معناه ضمنيًا غيابه بالحقيقة، والطيف ظاهرة إبداعية في شعر ابن نُباتة، إذ يصوره بأجمل صورة وكأنها لوحة مرسومة أمام المتلقي، فبداية يرحب به وكأنَّهُ موجود أَمامه وناظره عليه (أهلاً بطيف...) مشبهًا خياله بالحقيقة المرة

(كالجرعاء / الدواء المر) الذي لابدَّ من شربه وتقبله مهما كانت مرارته، مشبهًا إياه بالفجر / الزمن الطبيعي كالثغر دلالة على الجمال والنقاء والصفاء، ثم يشبه مجيئه نحوه كالنجم الذي ينحدر من ناحية الغرب ويهوي إليه دلالة على الاشعاع والإنارة، فهي الشعلة التي تبعث الضوء حولها عندما تُحمل بيد الماشي بالظلام، ويتمنى وجود زمن الطيف / المرأة كل ليلة حتى وإن كانت صعبة لكنها تبقى بجمالها كليلة العرس، ثم يمني النفس بالعيش معها كأنَّها حقيقة أَمامه (وحبذا العيش...) فهي أجمل من البدر وأجمل من الغصن الذي لم تلمسه يد البشر دلالة على طهارتها وتقديسها ، ويرمز لها بـــ (هيفاء) فـــــــــــ ((الرمز وسيلة لتحقيق أعلى القيم الدلالية في الشعر)) [1] وله طاقة تعبيرية تستند بشكل رئيس إلى طابع الإيحاء واللامباشر في القصد والتعبير واكتسب نصه بالرمز قوته الشَّعرية في استغلال أَبعاده التأويلية، فتتفرع الدلالات المتعددة عن الطيف، وبالذات تلك التي تشكل التعارض بين اليقظة والحلم، فهي محاولة من الشاعر الخلاص من حالة الألم والتمزق والحزن الذي يعيشه في الواقع والتوجه نحو الحلم بالطيف وتحقيق ما عجز عن تحقيقه في الحقيقة؛ فهو يرفض الواقع ويتوجه للحلم بالطيف، ويصفها بأرقى الصفات والحلل (خود لها مثل ما في الظبي...) وتلمع بين صفوف الناس ومميزة عن غيرها (محروسة بشعاع البيض...)، كما منحته الصورة اللونية إمكانية إكمال الدلالة والوصول إلى عمق التجربة الشَّعرية التي لبت مطلبه، ويوظف التشخيص (يسعى وراء لحظها قلبي...) كسعي وهروب الطريدة من يد مفترسها، فالاندماج باللحظة الشَّعرية وتشكيل المدركات الحسية بالتشخيص جعلت من موجودات الطبيعة تفقد صفة الثبات وصارت ذات حركة تستمدها من حركة الشاعر، فبالطيف يؤنس الشاعر وحدته، ويخفف من شعوره بالاغتراب المكاني والزماني والروحي، فيجعل الطيف حقيقة أمامه ،وكأنه يعيش معها حضورًا وهو يحاوره ويصفه، وبه يهرب من الواقع

(1) التشكيل البياني في شعر الصعاليك والفتَّاك حتى نهاية العصر الأموي، خالد جعفر مبارك، أطروحة دكتوراه، جامعة ديالى، كلية التربية، قسم اللغة العربية، بإشراف: أ.د. فاضل عبود خميس التميمي، 1435ه-2014م، ص 298.

الأليم إلى خيال أكثر متعة وراحة، وكان الليل المسرح الهائل وهو الفضاء الذي يتحرك فيه طيف الشاعر، كما يوظِّف الشاعر تراسل الحواس ضمن النص (عمى عينيه بالخرس) فالتفاعل الذي يحصل بين الصورة والطبيعة والطيف والمتلقي يكون وثيقًا عندما يكون مبنيًا بالحواس، فيجمع الشاعر بين الصَّور المتباعدة لتشكيل صورة كلية عن عمله الشَّعري، فـــــــ ((المحاكاة والخيال اللذان يعدان جناحي الشاعر المبدع الذي يحلق بهما في أجواء الشعر ويستلهم صوره من الطبيعة ومن طاقاته الإبداعية متخيلاً ذلك، وبذلك يكونُ الإبداع)) [1] فتخرج صورة الطيف نابضة بالروح والحياة، فهو بحاجة إليها / للمرأة وقلبه متعلق بها كحاجة (العيس) في اثناء مشيها وانتقالها بالظلام، مشبهًا نفسه بالسفينة على اليابسة (إن السفينة لا تجري على اليبس) فتجربة الشاعر الشعورية هي التي تبين حقائق الحياة، وهنا ينشأ الصدق الفني عندما تكون العاطفة عنصرًا أساسيًا في تشكيل صورة عن طيفه.

ولا يزال الطيف هو الخيال الذي يترأى للشاعر ليلاً أو في أثناء منامه، وبه يحقق رغباته في الوصول إلى المرأة، يقول [2] :

هيفـــاءُ أمِّـــا جفنهـــا فقـــد اشـــتكى ســـقماً وأَمَّـــا صـــدغها فتشوشـــا

تفّـــاحُ وجنتِهـــا المفـــدّى مقســـمٌ بدمشـــقَ لا عـــدم المتـــيمُ مشمشـــا

تُدسي جفـــوني وجنـــةٌ دَميـــت بهـــا وأنا الـــذي بالحســـن منـــكَ تحرشـــا

ولرُبّ ليلٍ قـــد عطفـــتُ ومـــا انتشـــى فيه قوامكِ يا ســـعادُ ومـــا ارتشـــى

ولفقـــتْ هاتيـــكَ الـــذوائبُ اجتلـــي نعم العـــروسُ أَو الأَميـــرُ مشربشـــا

وأكـــادُ آكـــلُ خـــدّه متجوّعـــاً ممـــا شـــربت رضـــابه متعطشـــا

(1) في المصطلح النقدي، د. احمد مطلوب، منشورات المجمع العلمي، 1423ه-2001م، ص 230.

(2) الديوان / ص 273.

ثم انتبهـت وغـاب طيـفُ محجـبٍ قطـعَ الفـؤادَ المسـتهامُ وأرّشـا

باللـيـلِ ألقـى طيفـه متأنسـاً واليـومُ ألقـى هجـرهُ متوحشـا

فمن العشاءِ إلى الصـباحِ لـيَ الهنـا وليَ الشقاءُ من الصباحِ إلـى العشـا

يا أَيَّها الطيفُ الَّـذي مـا ضنّـر مـنْ أهـداهُ لمـا أَنْ عشـا لـوْ أنعشـا

سكني الذي مهدت مـن قلبـي ومـن كبدي لـه بـينَ الجـوانحِ مفرشـا

إنَّ موجودات الكون ومظاهر الطبيعة توجد استجابة انفعالية عند الشاعر، فيشكل بها صورة عن طيفه الذي ينبض بالحياة ، وتثير الإحساس والمتعة عنده، ووجود الخيال معه يمنح عناصر الطبيعة عمقاً أكثر، وكذلك يعمق الإحساس الشَّعري به، وتوظيفه للزمن الطبيعي يمنحه القدرة على التعبير، فضلاً عن الوصف الحسي للمرأة والرموز الدالة عليها، فالشاعر المتمكن المبدع يذهب باللغة بعيدًا ويتلاعب بألفاظها وينحرف بها وبكلماتها عن دلالاتها اللغوية والإشارية ويتعداها ليوقظ بها حالة شعورية ولحظة انفعالية لاستشعار ذاتي يرمز به لمغزى نفسي، إذ ذكر بداية (دمشق) التي تذكره بها، فالمكان بدون الحضور الإنساني هو مجرد حيز جغرافي وهو في غياب مطلق، فيتحقق ويحضر مع الوعي الشَّعري والوجود البشري فتحضر وتكون أكثر فاعلية وتوهجًا وإصرارًا على ممارسة التأثير على المتلقي واشباع رغبة الشاعر، فدمشق لها آثار شاخصة يتخفى في أعماقها وجهًا عميقًا يتمثله الشاعر بألفاظه ومفرداته ليوضح مدى شوقه وحبه، ثم يعمد إلى الوصف الحسي للطيف المتخيل (جفنها، صدغها، تفاح وجنتها...) فوصفه هنا وصف حسي عياني يعتمده الشاعر لبيان جمال المرأة، وبها يبرز عناصر بنائهِ الشَّعري ليستوعب تجربته الوجدانية وتتجسد بها شحناته العاطفية، فالطيف صورة شبه مرئية في خيال الشاعر، يبتدعها بفكره ويتخيلها أمامه، والليل هو الوقت المحبب للزيارة ففيه تتوقد المشاعر

ويثور الخيال، وفيه من السكون والهدوء ما يثير عواطفه ومشاعره (ولرب ليل...) ويبقى الشاعر متشوقًا لطيفه حتى وهو معه ولا يشبع رغباته منها (واكاد أكل خده متجوعًا...) ولا يسقيه الماء من عطشه إلَّا أَن يشرب من ريقها (ممَّا شربت رضابه متعطشاً)، ثم يغيب عنه فجأة طيفها فيتقطع قلبه تحسرًا وحزنًا عليها، فالطيف ((يعلِّل المشتاق المغرم، ويمسك رمق المعنى المسقم، ويكون الاستمتاع به والانتفاع منه – وهو زور وباطل – كالانتفاع لو كان حقاً يقيناً)) [1] فيرتبط الطيف عند ابن نُباتة بالأرق والهم والحزن والسقم والليل والتذكر ((بالليل القى طيفه متأنسًا...)) ويرتبط بالحركة عبر المكان والزمن فزمنه ليل دومًا، وهجره في اليوم كله (واليوم القى هجره) فهي قد فارقته ورحلت عنه روحيًا وواقعيًا، ويعمد الشاعر إلى توظيف التضاد بين زمنه المعيش والمستقبل والماضي (فمن العشاء إلى الصباح...) ومن (الصباح إلى العشا) لكي ينهض بحشد هائل من الدلالات التي توصله إلى مبتغاه وتعرّف المتلقي بما يعانيه من الهجر والفقدان، فيسري الطيف في عروق الشاعر بهدوء وروية فترتاح نفسه ويهدأ كيانه، فلذة الطيف تنسيه آلام اليقظة، ثم يهيج بالتذكر ويناديها بروحانية كبيرة (يا أيها الطيف الذي...) فيأتي خطاب الطيف بالنداء مكثفًا بالدلالات والمعاني، فتعمل على جذب المتلقي وتحفيز ذهنيته لحملهِ على رصد النص وللكشف عن أَسراره وجماليته، فيشبعُ الشاعر خطابه الشَّعري بالخيال، فالطيف بهذا النص مع موجودات الطبيعة الموصوفة بها هي المنطقة الايحائية الشَّعرية، فيكون قلبه سكنًا لها قرب الكبد وبين الأعماق والجوانح (سكني الذي مهدت...) فالشاعر يحمل ذاتًا قلقةً بين أضلاعه، ولا تستقر إلَّا بمسكنها، فمحرك النص الشَّعري هنا هو الوصف الذاتي الحسي للمرأة وهو لتوتر الشاعر النفسي الذاتي / المبدع الذي يهدف بهِ إلى التأثيرِ وفهم المقصود والغاية، فتجلت أهمية الطيف المتخيل بقدرتها على اختزال الدلالات الشَّعرية والمعاني المتنوعة.

(1) طيف الخيال، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق: حسين كامل الصيرفي، مراجعة: إبراهيم الابياري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ص5.

ويتمثل الطيف الزائر / المتخيل عند ابن نُباتة متنفسًا له، ومعبرًا عن خلجاته، يقول [1]:

سرى والدجى كالصدرِ بالهم ملآنُ خيالٌ بقلبي منه كالشهبِ أَشجانُ

فنفّر عن طرفي الكرى وأَعادَ لي رسيس غرامٍ وانقضى وهو غضبانُ

على حين لم ينضبْ مِن النجمِ قطرةً ولا فاض في الظلماء للفجر طوفانُ

يخيلُ لي طيفُ المليحة حسنها لو أن الكرى فيه على الحسن إحسانُ

بروحي من شطّت فَحجِّبتِ النَّوى شقائقُ خديَّها وأقفرَ نعمَّانُ

كأن لم يكن نعمَّان للعيدِ منبتاً فيا حبذا اقضب لديه وكثبانُ

ويا حبذا اقضب من البان حملها لذي الثغر تفّاح وذي الصُمّ رمانُ

وكم قيل في البستانِ غصنُ وهذه معاطفُها تجلى وفي الغصنِ بستانُ

وغيداءُ أَمَّا ردفُها فهو مشبعٌ رويٌّ وأَمَّا خصرُها فهو عريانُ

وما كنتُ أَدري قبلَ فتكِ جفونِها بأنَّ للسيوفَ المشرفيةَ أَجفانُ

يعبِّر الشاعر عن الطيف بصيغٍ زمنية مختلفة وأفعال منوعة (سرى، فنفَر، انقضى، لم ينضب، ولا فاض، يخيل لي...) فهو طيف المليحة المتخيلة بذهنه، فالحضور الطيفي هنا يتم في لحظة الغياب الحسي – في حالة النوم – (يخيلُ لي طيفُ المليحة) فكل العلامات التي ينهض عليها الطيف (سرى، خيالٌ، يخيل لي) لا تحضر

(1) الديوان / ص 499-500

كونها مكونات وألفاظ معجمية حسب؟ بل رتبها الشاعر في نسق إبداعي خطابي بانيًا منها صورة شعرية تمثل وعيه وبصيرته وإدراكه، فخياله المتصور لا يفارق ذهنه ولا يترك بصيرته (سرى والدجى... خيال بقلبي) فالنوم هجر عينيه وأرقه (فنفّر عن طرفي...) حتى أن الشاعر لا يريد انقضاء الليل لشدة شوقه، فيبني مشهدًا وصفيًا للمرأة بـــ ((تصوير حديث الطَّيف الزائر بأفق شعري مشرق، تدعمه سلامة طبعه، وحسن انتخابه للمفردة المشهدية الواصفة، وموضعتها في المشهدِ بوعي جمالي يحققُ أهدافها ذات طابع نفعي ووظائف فنية تُسيرها رغبات ذاتية)) [1] بوصفها وصفًا جزئيًا ثم إن خديها مثل شقائق النَّعمان بجمالها، وكأن خدودها قد أنبتت وردًا، وهي كالغصن البارز النظِر يتمنى الكل وصلها (وكم قيل في البستان...) فهي الحسناء اللينة الناعمة (غيداء) فتوظيف ابن نُباتة لجماليات الطبيعة الحية (غيداء) في نصه الطيفي يشكل رمزًا لنسق كامل من الحياة ومعادلاً موضوعيًا لعصر طويل يأخذه الشاعر؛ ليختزن به أفكاره، وعملية الإبداع الأدبي في نصوص الطيف لم تكن حلقة باطنية منطوية على نفسها وذاتها، بل فِعلٌ ينبثق من ذات شاعرة يتوجه به إلى الآخرين بما تمليه عليه هذه الذات ويعمم عليهم هذا الفيض الفكري – الشعوري بما يُكسِب الأدب بشكل عام وقصائده ومقدماته بشكل خاص صفتها وهويتها الاجتماعية، وهي صفة ملازمة للإنسان / المبدع ومجبولة معه فطريًّا[2]، فكانت الفاعلية الأولى والكبرى في هذا النص هي للطيف الزائر وما أنتجته من صور شعرية تعبر عن ذات الشاعر ونظراته ؛((لأنَّها ذات طاقات رمزية عميقة، ولأنَّها غنية إيحائيًا قادرة على استثارة مجموعة من التصورات والمواقف والانفعالات، يحركها النص من أجل

(1) المشاهد الوصفية في شعر ابن زيلاق الموصلي (ت 660ه)، د. مقداد خليل قاسم، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية التربية، السنة 48، 1440ه-2008م، ص 87.

(2) ينظر: سوسيولوجيا الأدب، روبير إسكاربيت، تعريب أمال أنطوان عرموني، عويدات للنشر والطباعة، بيروت-لبنان، ط3، 1993، ص6.

تشكيل بنية كلية لها فيه وظيفة جوهرية))[1] وغاية الطيف عند الشاعر محاولةً منه للتواصل والتعويض عمَّا يحس بنقصه في حقيقته.

ويدخل الشاعر في لحظة غياب مؤقت ليعيش حضورًا خاصًا باستحضار الطيف الزائر شعريًّا، وتمنحه هذه اللحظات إمكانيات وطاقات يوظفها في بناءِ نصوصه الطيفية، يقول ابن نُباتة[2] :

إنَّ طيفا عن حالِ شجواي أَملى ... لستُ أَدري أدّى الأمانة أم لا

جاءَ ضيفاً وردَّهُ سهد عيني ... فوليّ بيَ الهمومَ وولّى

ليتَ طيف الحبيبِ ينقلُ جسمي ... لا حديثي فكانَ يحسنُ نقلا

بأبي من إذا تثنَّى دلالاً ... أَطرقت في رياضها القضبُ خجلا

فاتِكَ اللحظِ وهو حلوٌ مع الفـ ... ـتك فيا حبذا الحسام المحلّى

عرفَ الناسُ سحرَ عينيهِ لمَّا ... هزَّ جفنا فصيّر الجفنَ نصلا

وعليه تأصّلَ الحبُّ لمَّا ... مدَّ فرعاً فصيَّرَ الفرعَ أَصلا

مدَّ صدغاً عذارٍ وخدٍ ... فرأينا مرعىً وماءً وظلا

ورنا بعده الغزال فقلنا ... حُطّ يا ظبيُ عن جفونك ثقلا

ليس يُسلى هواهُ مِن قلبِ صبٍ ... ونعم فوقَ نارِ خدّيه يُسلى

(1) الرؤى المقنعة- نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي – كمال أبو ديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1986م، ص 611.

(2) الديوان / ص 552.

يخاطب الشاعر طيف الخيال خطابًا مباشرًا، فتتحقق النشوة وهو يحاور الطيف (إنَّ طيفًا عن حال شجواي...)؛ لأَنَّ الطيف وحدة أَساسية ومكونٌ من مكونات بناء النص خدمةً لحاجةٍ في نفسِ الشاعر وذاته بأبعاد نفسية مثيرة لاهتمام المتلقي، فالشاعر بفكره وعالمه الداخلي زاره الطيف (جاء ضيفاً) فلولا النوم والليل والسهر (السهى) ما حضر الطيف، فـ ((ظاهرة طيف الخيال في جذورها تشكل إحدى إفرازات اللاوعي المقهور فإنَّها قد استخدمت بأَبعادها المعنوية الرمزية أكثر مما استخدمت كتعويض او صورة حية كامنة في نفس الشاعر إشباع دوافعه)) [1] فالشاعر يحشد كثيرًا من التفاصيل المتخيلة في نص حي ذي نبض وروح، فطيف المرأة (جاء ضيفًا) بالخيال غير أنه لا يسدُّ مسدَّ الزيارة الواقعية؛ لكنَّه يرحب بطيفها ويَسَعْدُ به، ويرسم لها صورًا يبدد بها وحشته في ظلمات الليل (ليت طيف الحبيب...) وهو متنفس له يخفف من عذاباته وهمومه، إذ وجد في خيالها صورة تعوضه عن وجودها الحقيقي بعد أن بعدت بينهم المسافات وتباعدت السبل (ليت... ينقل جسمي...) فكان طيفهم أكثر حظًا في الحضور الشَّعري، فلفظة (الحبيب) حملت الهوية الأنثوية المباشرة وصارت دالة على نسق شعري يختزل فكرة التآلف الإنساني وتنذر بالمحبة والودِّ، فهي المدللة والخجولة صاحبة الحياء المطلق، وهي صاحبة العيون التي سحرته عندما نظرت إليه (عرف الناس سحر عينيه)، وأدى الخيال دورًا كبيرًا في رسمِ الصورة الطيفية، فمفهوم الخيال والتخييل مرتبط جوهريًا بالشعرِ، وهو المسؤول عن تمخض وعي جديد للعالم والأشياء يكون مغايرًا ومباينًا في طبيعته الإدراكية للوعيين الحسي والعقلي[2]، فابن نُباتة لا يُسند معانيه إلى أشياء ثابتة، بل إنه يبدع في المعاني وابتكار الدلالات (مدَّ صدغًا، فرأينا مرعى وماءً، حُط يا ظبيُ) فتقوم نصوصه الطيفية على أفكاره ودلالاته ويشركنا معه بتأملاتهِ في وصفِ الجمال

(1) الغزل العذري – دراسة في الحب المقموع، يوسف اليوسف، دار الحقائق، ط2، 1982م، ص92.

(2) ينظر: التخييل والشعر – حفريات في الفلسفة العربية الإسلامية – يوسف الادريسي، منشورات ضفاف بيروت ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012م، ص25.

والرونق الحسن للطبيعة ، فلن يهدأ قلبه مادام بعيدًا عنها ويتحمل نار الفراق (ليس يُسلى هواه...) ويشعر بالتلذذ والتمتع عند ذكر الطيف، والذي مثل وحدة مكونة من وحدات القصيدة وتمتلك آلية يجسد من خلالها الشاعر رؤياه للعالم في لحظة الإبداع بطريقة خاصة، فـــــ ((لحظة الطيف تتحقق فنياً كما في تحققها موضوعيًا، فهي لحظة جدلية بين حالتي الحضور / الغياب وتتحقق إحداهما بصورة ضدية مع الأخرى وبوجودها في آنٍ، وإذ يعاينها الشاعر فإنَّه لا يقوم بعملية تسجيل أو محاكاة لغوية دقيقة لمجريات تمت بل هي تجربة تخيلية)) [1] فالطيف دائمًا يتشكل بدايةً في مخيلة الشاعر مما يجعل منه حلمًا أو تمنيًا غير قابل للتحقيق أَحيانًا (لست أدري أدّى الأمانة...) فالإحساس بالطيف يجعلنا نشعر بأَنَّه ثمة شخص آخر يشاطرنا المكان الواقعي (ينقل جسمي) وهذا يولّد رغبة في التواصل ويجعلنا نحس بالمتعة حتى ولو كانت متخيلة، وتكرار الشاعر لطيفهِ المتخيل (إن طيفًا، جاء ضيفًا، ليت طيفي) جاء تعويضًا عن اللقاءِ في الواقع.

ثانيًا: الطيف والعاذل:

الفراق والهجر والعذول باعثٌ من بواعثِ صورِ الطيف عند ابن نُباتة المصري، فكانت تجاربه الشَّعرية تنطلق من جزئيات العذل والملام وما يترتب عليها من مواقف اجتماعية، ويجيء الطيف ليلاً، أو في حالة النوم، وهو الجسر الذي يوصل الشاعر بالمرأة، ويحقق معها مالا يستطيع تحقيقه حقيقة، فيكرر الشاعر بنصوصه الشَّعرية للطيف العاذل أو أن ((طيفًا ما قد ألمَّ به، أو أن خيال حبيبته قد زاره، ويمضي إلى تأمل هذا الخيال أو ذلك الطيف...)) [2] ويكون بذلك للطيف تأثير في المتلقين فيحدث استجابات عندهم، ويحمل الطيف في مضامينه عواطف الشاعر ومشاعره وتوحي بأكثر من معانيها الظاهرة بالألفاظ، وبها يرسم صورًا إبداعية متحركة نابضة

(1) الطيف في شعر البحتري / ص60.

(2) الطيف والخيال – دراسات في الشعر العربي القديم – د. حسين البنا عزالدين، دار الحضارة للنشر، ط2، 1993، ص10.

وموحية وذات دلالات عميقة ورامزة، فـ ((الطيف وحدة مكونة من وحدات القصيدة وتمتلك آلية يجسد من خلالها الشاعر رؤياه للعالم في لحظة الابداع بطريقة خاصة)) [1] والصورة التي يرسمها الشاعر لطيفه تولد في المتلقي إحساسًا بالدهشة وتشحنه بطاقة انفعالية قوية، و ((الشعور يظل مبهمًا في نفس الشاعر فلا يتضح له إلا بعد أن يتشكل في صورة، ولا بد أن يكون للشعراء قدرة فائقة على التصور تجعلهم قادرين على استكناه مشاعرهم واستجلائها)) [2]، والشاعر يحول أفكاره إلى تجارب شعرية لتوفير المناخ الشَّعري بالطيف وربطه مع العاذل؛ لأَنَّها وسيلة في إخراج إبداع الشاعر إلى الوجود، فحضور العاذل في نصوص الشاعر هو لاستجلاء كوامن الذات وتلبية للرغبات النفسية عنده، فأثر الذات الشاعرة مهم في إنتاج النصوص الشَّعرية وتلوينها بألوان الابداع والنفس، متخذًا رؤية لنصوصه، يستنطق بها خياله، فكانت أصداء العاذل وسلوكياته وإلماحاته تتردد في نصوصه ينتقل من حقيقة الواقع إلى الخيال مع الطيف ويتدفق في سياقات لغوية ينسجها خيال الشاعر، والذات الشاعرة المتحسرة تعيش أزمة نفسية خانقة، تهرب بالخيال منها إلى عالمٍ واسع وفي الوقت نفسه فإن ذاته لا تخفي انفعالاتها مع الطيف فمعها يشعر بالراحة والطيف المتخيل المتحد مع العاذل ينظمها خيال الشاعر وترتسم في ذهنه ، وهي تمثيل حقيقي لمشاعره الذاتية وجوانحه المشتاقة، فالطيف الزائر يطرق خيال الشاعر، يقول في نص طيفي دامجاً بخياله العاذل معه، يقول[3]:

وعـــدتْ بطيـــفِ خيالِهـــا هيفـــاءُ إِن كـــانَ يمكـــنُ مقلتـــي إِغفـــاءُ

يا مَـــن يـــوفِّر طيفُهـــا ســـهري لقـــد أَمنَ ازديارِكَ فـــي الـــدجى الرّقبـــاءُ

(1) الطيف في شعر البحتري / ص44.

(2) الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية – د. عزالدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، 2007م / ص 136

(3) الديوان / ص 11.

يا مَن يطيــلُ أَخــو الهــوى لقوامِهــا شــكواهُ وهــي الصــعدةُ الســمراءُ

أفديكِ شمسُ ضــحىً دمــوعي نثــرةٌ لمّــا تغيــبُ وعــاذلي عــوّاءُ

وعزيــزةٍ هــي للنــواظر جنّــةٌ تُجلــى ولكــن للقــوب شــقاءُ

خضــبتْ بــأحمرَ كالنضــارِ معاصــماً كالمــاءِ فيهــا رونــقٌ وصــفاءُ

وآهًــا لهــنَّ معاصــمًا مخضــوبةً ســالَ النضــارُ بهــا وقــامَ المــاءُ

أصــبو إِلــى البرحــاءِ أعلــمُ أَنَّــهُ يرضــيكِ أَن يعتــادني البرحــاءُ

ويبثّ مــا يلقــاهُ مِــن أَلــم الجــوى قلبــي وأَنــتِ الصــعدةُ الصــمَّاءُ

يفتتح الشاعر اللوحة الطيفية بالفعل (وعدت) الذي له دلالة عميقة تشير إلى استحالة اللقاء، مبينًا رغبته في الانتظار لذلك اللقاء، ثم يتجلَّى الإحساس بالإخفاق في التواصل بصيغة النداء عند الشاعر (يا من يوفر ... يا من يطيل...) وهو نداء يوحي بالفجوة التي تفصل المنادي (الشاعر) عن المنادى (الطيف الزائر المتخيل) فكانت النداءات وكأنَّها صيحات بدون رد أو جواب، فيذرف الدموع حسرة وتوجعًا لبعدها، فالطيف (يوفر طيفها سهري) ليس عملاً تشويقيًا ولا اعتباطيًا، بل يحتوي على كنه الشاعر وعمق شعوره وتمثيله للذات، فالمرأة مريحة للقلوب مستميلة لها (للقلوب شقاء) على الرغم من قسوتها، وشدة جمالها المتخيل (للنواظر جنة) وكأنَّ العيون تنظر إِلى الجنان عند رؤيتها، فالطيف يقتضيه الخيال الشَّعري ويخلده ((فالفعل الشَّعري بحد ذاته يضحي في بعض معانيه محاولة من الانسان / الشاعر لتخليد آنية معينة من الزمن – المتخيل – من خلال فنيّة تصويرها وعبر توصيلها إلى الآخر /

الجماعة)) [1] ثم يصف يديها (لهنَّ معاصمًا...) ويشبهها بالحديقة الخضراء التي يسيل الماء فيها دلالة على رونق الجمال والراحة النفسية، فالنص هذا فيه سيل من الخيال الشَّعري الذي يدفع نحو صور مليئة بالكبت والحزن على الطيف المتخيل والمتمثلة بقوله (وآهًا)، والشاعر يعيش حالة من الغياب عن العالم ليشهد حضوره الخاص بدلالة الفعل (أصبو) مع حضور الطيف معه (يرضيكَ) المتجذر في خياله، فيجسد الفعل المضارع (أصبو) الحالة الراهنة للشاعر، وفي مجمل هذا النص الطيفي المدمج مع العاذل يندمج الشاعر بالطيف في لحظات شعرية متدفقة من خياله، فيوجه خطابه إليها مباشرة (وعدت بطيف، يا من يوفر طيفها) ويدعوها للحضور الآني، فالطيف الزائر في الكثير من تجلياته يضيء العالم الداخلي للشاعر عالمه الذاتي النفسي، فالشاعر يعاني الشدة من فراقها وهو على يقين بأنَّ عذابه الشديد يرضي طيفه المتخيل (أصبو إلى الرجاء)، ويصبر على ما يلاقي من ألم (ألم الجوى) وشدة العشق وما يورثه من حزن (وعاذلي عوّاء) فالعاذل وظفه لإثبات المعنى وتقريره، ويحقق الشاعر تحقيقاً ذاتياً وتخييلاً بالطيف المتخيل مالم يستطع تحقيقه واقعيًا، وطيفه ساكن بالقلب ومستقر به سواءً بالنوم أو اليقظة، إذ إن صاحب الطيف نفسه غير موجود فعلاً في لحظة الطيف، ولحظة الطيف التخيلية هذه تحيل الطيف إلى حقيقة على الصعيد التصوري[2]، الذي يتحقق بنقلة إلى خياله الشَّعري وواقعه المتخيل، فالطيف عند الشاعر يمثل تصورًا لخوالجه الشخصية، ويتمنى عدم انقضاء الليل والحلم ليطول زمن المتعة بالطيف واللذة معها، يقول[3] :

سرى طيفُها حيثُ العواذل هُجّعُ فنّم علينا نشرُهُ المتضوِّعُ

وباتَ يعاطيني الأَحاديثَ في دُجًى كأنَّ الثريا فيه كأسٌ مرَصَّعُ

(1) الرمز الأسطوري في مسيرة الشعر العربي المعاصر، وجيه فانوس، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 38، آذار، 1986م، ص94.

(2) ينظر: الطيف في شعر البحتري / ص 83.

(3) الديوان / ص 295.

أجيراننـــا حـــي الربيـــعُ ديـــارَكم وإن لم يكـــنْ فيهـــا لطرفـــي مربَّـــعُ

شكوتُ إلى سفحِ النقـــا طـــول نـــأيكم وسفحُ النقا بالنـــأي مثلـــي مـــروّعُ

ولا بدّ من شـــكوى إلـــى ذي مـــروءةٍ يواســـيكَ أو يُسْـــلِيكَ أو يتوجَّـــعُ

فديت حبيباً قـــد خـــلا عنـــه نـــاظري ولم يخلُ منه فـــي فـــؤادي موضـــعُ

مقيمٌ بأكنـــافِ الغضـــا وهـــي مهجـــةٌ وإلّا بوادي المنحنـــى وهـــي أَضـــلعُ

أطـــال حجـــازَ الصـــدّ بينـــي وبينـــه فمقلتُـــهُ الحـــورا ودمعـــي ينبـــعُ

إنَّ الدوافع الوجدانية في لوحة الطيف هذه قد تشكلت بمدركات حسية جعلها الشاعر منطلقًا للوحته الشَّعرية المتخيلة، فمنحت الأفعال الحركية الشاعر جهدًا إضافيًا في بيان غايته وبناء صوره، وتساعده في الوقت نفسه على كشف وإظهار الأحاسيس (سرى طيفها حيث العواذل...) فندخل في المجال الجمالي الذي يحاكي الجمال الواقعي والشاعري، ثم إن توظيف الفعل الحركي القصدي (وبات يعاطيني الأحاديث...) كان الهدف منه استثمار مدركات الأفعال لتقوم بمهمة الأداء والتأثير، فكانت لها دينامية عميقة تتسم بها وهذا يجدد حيويتها وتجددها دائمًا، فالعاذل وجوده ذو تأثير عميق وذو أفق واسع ((يستخدمها الشاعر لآنها ذات طاقات رمزية عميقة؛ لأَنَّها غنية ايحائيًا قادرة على استثارة مجموعة من التصورات والمواقف والانفعالات، يحركها النص من أجل تشكيل بنية كلية يكون لها فيه وظيفة جوهرية)) [1]، ثم يوظف الشاعر المكان دامجًا بينه وبين الطيف (حي الربيع، دياركم، سفح) فهو في الأصل مكان حقيقي وظفه الشاعر ووصفه وشكّله لما يجد في المكان من إشباع لرغباته يذكره بطيفه، ويعيده إلى ماضيهِ، فبُعد صاحبة الطيف عن الشاعر يوحي له بالهوة

(1) الرؤى المقنعة – نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي –، ص 611.

والفجوة التي تفصله عنه، فيشتاق لها ويردد صفاتها ويتخيل طيفها ويذكر أماكن وجودها لتهدأ نفسه، فبالمكان يستشعر وجودها، وفي الوقت نفسه يشكو الشاعر طول بعدها عنه و (السفح) يذكره بها وهجرها، فيخفق القلب للزمن الأَوَّل وزمن الوصل، فيتجه الشاعر للطيف وما يذكره به فيتبيَّن صدق تجربته وقوة عواطفه وحرارتها، فيفجر بالشكوى عمَّا يعانيه لعلَّها تسمعه أَو تردّ عليه (شكوت إلى سفح النقا...) و (لا بد من شكوى إلى ذي...) ليفصح عن ذاته القلقة فقد تسمعه أو تعينه وهو يقدم نفسه فداءً لها (فديت حبيبًا قد خلا...) على الرغم من هجرها له لكنها قد سكنت قلبه واحتلت جوانحه وعشعشت في قلبه وكيانه (ولم يخلُ منه في فؤادي) (بوادي المنحنى وهي أضلع) فقلبه وضلوعه كالوادي الذي يتحمل المصاعب والكوارث إكرامًا لطيفه، ومهما طال هجرها وفراقها فهي في فؤاده وروحه، فيكشف النص أَنَّ هناك تشابكًا وترابطًا وثيقًا وعميقًا بين الطيف المتخيل والمرأة والعاذل، تلبي رغبات الشاعر وتوصله إلى قمة النشوة، فيخلط الشاعر في هذا النص بين صورٍ منوعة ليقدم كلية عمَّا يبتغي ايصالها للمرأة المتخيلة، ويركن إلى العاذل ليخدم دلالاته، فنفث فيه الشاعر آلامه وذكر ذكرياته واتخذها وسيلة للتعبير عن النفس الباكية الحزينة، وتؤكد الدلالات العميقة للطيف المتخيل والمربوط مع العاذل على وجود ترابط نفسي ذاتي بين الشاعر ونصه، إِنَّ إِفصاحه وبث شكواه ضمن دائرة الطيف من أبرز التجليات الفنية التي يعتمدها للتعبير عن معاناته وحالته النفسية وعواطفه الجياشة المختلطة مع مشاعر القلق والحزن وهي بدورها تعصف بقوة في المتلقي وتسلط عليه الواقع المأساوي المعيش للشاعر، وتكشف عن مدى معاناته، يقول[1] :

طيـــفٌ تصـــيدتُهُ والليـــلُ محتبِـــكٌ من حليةِ الشهبِ أَو مِن شعرِهِ الحبكُ

بينَ الـــذوائبِ تمشـــي فـــي حبائِلِهـــا يا حبذا الظبي أو يـــا حبَّـــذا الشـــركُ

(1) الديوان / ص 362.

عجبتُ مِن لاثمٍ هتكي على قمرٍ الشمسُ منهُ على الحيطانِ تنتهكُ

مُحَجَّبٌ لا يراهُ العاذلونَ ولا أُصغى إليهم وإِن بّرُّوا وإن أَفكوا

فليتهم نظروهُ واستمعتُ لهم وخلصوني من جفنيهِ واشتبكوا

أَبكي وعاذلي التعبانُ يطلبني أَسلو فيأخذني من عقلهِ الضحكُ

الليلُ هنا هو المسرح لخيال الشاعر وفضائهِ الشَّعري فيصور طيفه المتخيل بظلام الليل الحالك، إذ تثار مواجعه ويزداد شوقه تحت جوانحه ويعاني الشاعر انكسارًا في زمن النص بالفعل الماضي (عجبت) الذي لا ينتمي فقط إلى زمنٍ ماضٍ بل إلى الزمن الحاضر أيضًا؛ ليؤكد على التعجب في حالتي الحضور والغياب معًا، ثم يبدأ طيفية جديدة (محجب لا يراه...) يربطها بموضوع الطيف الزائر والقمر يضيء أرجاء المكان في الليل (على قمرٍ) فالليل عند الشاعر يمثل حالة الغياب المطلق والقمر إحدى الفعاليات الكونية في الغياب، وتتجلى فعاليته في الليل الذي يمنح للقمر حضوره، فـــــ ((الطيف ظاهرة إنسانية أو فنية لا يكون صورته معزولة وإنما نسقًا من الصور المتلاحقة المركبة...، وهو أشبه بالشريط المصور المتحرك الذي يجري استعراضه بما يضمه من أصوات ومؤثرات وأبعاد وما يصاحب هذا الاستعراض من انفعالات واستجابات باستغراق يستمر طيلة اللحظة الطيفية)) [1] ويتمنى الخلاص من ألمِ الطيف/العاذل (فليتهم نظروا...) مستعينًا بتصوير ذلك تصويراً حسَّيًا بصريًّا وسمعيًّا فقد أتى بالعاذل وأخفى طيفه عنهم كي لا يرونه وهم يطيعونه في الوقت نفسه، ثم يأتي بفعل البكاء (أبكي) تعبيرًا عن واقعهِ الأليم وطول سهره، فكان لنصه الطيفي إيذانٌ للمتلقي للدخول في لحظة الطيف المتخيل (فليتهم / الآخر) (خلصوني / المتلقي) بتفاعل مع الطيف وهو دور المبدع في إكمال لوحة الصورة مما يجعلها قادرة على التأثير الوجداني المباشر في المتلقي / الآخر، ويشكل

(1) الطيف في شعر البحتري / ص 48.

الطيف نفيًا لكل أشكال الغياب المؤقت، فالطيف ليس جسمًا مفصولاً عن المكونات النصية الأُخرى مما يعطي لعملية التحليل مشروعيتها النقدية الشاملة، والإبداع الشَّعري عند ابن نُباتة فعل مؤثر ينخرط في منظومة كاملة من الوعي والثقافة وهي التي تمكنه من قولِ القصيدة، فتكون محاولة واعية لبناء أفكاره في شكل فني عالٍ، فـــــ ((الطيف هو لحظة استبصار للماضي واكتناه الحاضر، وتعبئة المستقبل، إنه ترنيمة التجاوز للقلق الراهن...، ويمثل الطيف لحظة إنسانية رفيعة للتماسك وتأكيد الحضور من خلال الاتصال والتوحد بالآخر)) [1] الذي يريد إيصال صوته له، فحضور الطيف يمثل رمزاً للحضور الذي يواجه بها الشاعر تجليات الغياب الذي يعانيه، ويعوض بها عن فقدانه وتوجعاته.

يتحقق الجانب الوجداني للطيف بالخيال، ويستمر جنبًا إلى جنب مع تصوراته، وهي تشكل بؤرة الهّم الوجداني، وترتكز بنية النص الشَّعري على هيمنة ذات الشاعر لها، فشوقه كبير لا ينتهي وفي ذلك يقول[2] :

أَمنـــزلٌ ذاتَ الخـــالِ حبيـــتُ منـــزلاً وإِن كانَ قلبي فيكَ بالوجـدِ مبتلـى

لـــكَ الله قلبـــاً لا يـــزال مقيـــداً بشـــجوٍ ودمعـــاً لا يـــزال مسلســـلا

يعبِّـــر عـــن ســـرِّ الهـــوى وأَضـــيعُهُ فيالـــكَ دمعـــاً معربـــاً راح مهمـــلا

كفـــى حزنـــاً أن لا أراقـــبَ لمحَـــهُ ولا أَنظـــرُ اللّـــذاتِ إلّـــا تخـــيّلا

ولا أســـتزيرُ الطيـــفَ خـــوفَ فراقِـــهِ لمِا ذقـــتُ مِـــن طعـــمِ التفـــرّق أَوّلا

وأُقســـم لـــو جـــادَ الخيـــالُ بـــزورةٍ لصادفْ بأَنَّ الجفـــنَ بـــالفتحِ مقفّـــلا

وأَغيـــدَ قـــد أضـــنى العـــواذلَ أَمـــرُهُ فقل في أَسى أضـــنى محبّـــاً وعـــذّلا

(1) الطيف في شعر البحتري / ص 168.

(2) الديوان / ص 548.

غريـــرٌ رنَـــت أَجفانُـــهُ ووصـــفنَهُ فراحَ كلانـــا فـــي الـــورى متغـــزّلا

استطاع الشاعر بفعل حسه الفني ومعرفته الكبيرة وبدلالة الموجودات في حواسه من توظيف ما يدور من هموم وانفعالات في نفسه داخل أطر جمالية محسوسة لها حضورها الفني، فالشعر هو توظيف المخيلة خدمة لحاجات النفس الذاتية، فيتذكر بداية المكان (حبيت منزلاً...) فهي التي تذكره بالمرأة صاحبة الطيف المتخيل، فقلبه قد ابتلي بالحب وعاش مرارتها، ويطلب الصبر وتجرع المرارة إكراماً لها (لك الله قلباً لا يزال مقيدًا...) ودموعه تنهار ولا سبيل لإيقافها إلا بوصلها، ويبغي الاكتفاء من الحزن بسبب تعبه، وعدم قدرته على التحمل فهو لا يحس باللذة إلَّا خيالاً (ولا أنظر اللذات إلا تخيلاً) ويتحسر حتى على طيفها (ولا استزير الطيف خوف فراقه...) فبالطيف يرجع الشاعر إلى زمن الوصل مع المرأة وحديث الذكريات، وبها يتحوَّل إلى واقع في خياله، ويجري معها حواره الخاص ويبكيها شوقًا ولهفة، ويرسم صورتها بكلماته ويقضي ليلهُ في أَرق وسهاد، وظيف الشاعر يحتاج إلى تأمُّل وتعمق وتداخل معه للوصول إلى غايته منها، وإن وفاءه للمرأة حتى ولو كانت طيفًا كان وفاءً مقصودًا ومتعمدًا صادرًا عن تمثل واعٍ (وأَقسم لو جاد الخيال بزورةٍ...) ثُمَّ ليتجه إلى العاذل (وأغيد قد أضنى العواذل أمره...) فهي الناعمة التي أهلكت العواذل من جمالها وحسنها، فيضع الشاعر للطيف صفات يلزمها به الخيال الشَّعري ويفرض على نفسه اقتناص الطيف ووضعه في المكان المناسب من نصه فـــــ((الفعل الشَّعري بحد ذاته يضحي في بعض معانيه محاولة من الإنسان/الشاعر لتخليد آنية معينة من الزمن من خلال فنية تصويرها وعبر تواصيلها إلى الآخر/الجماعة))[1]، وتكرار الفعل (أضنى) لها محمولات دلالية على الوعي الشَّعري للشاعر فيه أَراد بيان موقفه وتوجعه من الهجر والأَسى، فالطيف ظاهرة فنية في نصوص ابن نُباتة ولدت في أغلب قصائده، والقصيدة هي بؤرة انصهار العلاقات المتبادلة بين معايير المبدع /

(1) الرمز الأسطوري وحاوي في مسيرة الشعر العربي المعاصر / ص 94.

الشاعر ومعايير الثقافات المتنوعة التي يعرفها، والشاعر يخترق تلك الثقافات ويعيد صياغتها في سياق خطابي يلبي طموحه، ويصيغ لنفسه رؤية شعرية واعية ينفرد بها[1]، وتبقى القيمة الموضوعية والفنية لنصوص الطيف بأنواعها عند الشاعر المطلب الرئيس الذي لبَّى طموحاته واشبع حاجاته، فشعور الشاعر بمرارة الفراق والتعطش للمرأة ويريد التحول معها من الخيالي المحسوس إلى الملموس الحقيقي رغبة في تحقيق الوصال المفقود في الحقيقة.

* * *

ـــــــــــــ إنَّ مما تقدم من نصوص عن الطيف يبين لنا تسامي التجارب الشَّعرية لابن نُباتة وإِعلاء صور انفعالاته وأَغلب النصوص هي ذكريات وجزء من الحنين للماضي، فكانت نماذج على حضور فكرة الغربة الذاتية المرتبطة في جوهرها بفكرة رحيل المرأة واقفار المكان من بعدها، نصوص الطيف دلالات معرفية كثيرة، فضلاً عن نزوعها الذاتي واكمالها للحاجات الإنسانية، فكان لفداحة الرحيل والهجر الأَثر الأَليم في وعي الشاعر واحساسه وهو يشاهد خلو الأمكنة والديار من المرأة / المحبوبة وتحول معطياتها إلى مجرد ذكريات وتذكر .

ـــــــــــــ عالجت نصوص الطيف عنده همًّا مركزيًّا من هموم الشاعر، وكانت وفية ملبية لتقاليد النسق الشَّعري وكان منضبطًا داخل ثيماته وحدوده، فكل نصوصه تنذر بالبكاء على المرأة / الراحلة التي تركت خلفها الصد والهجر والوجدان المملوء بالعواطف والأحاسيس، وكان لفاعلية الزمن الطبيعي دورٌ في إِظهارها.

(1) ينظر: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، عبدالفتاح أحمد يوسف، الدار العربية لعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص 142-143.

ـــــــــــــ تقوم لوحات الطيف عند الشاعر ابن نُباتة المصري على المفارقة، فالأصل فيها أنها ذهنية؛ لكنها ممتلئة بالخيال وبالذات البصري الذي يكون مألوفًا وقريبًا من الواقع وهنا تكمن المفارقة.

ـــــــــــــ يتميز الشاعر بقدراته الفريدة على توليد صورٍ متوالفة مع بعضها ليميز طيفه ويخرجه إلى أرض الواقع وكأنها منظومة معرفية ليتعرف المتلقي بها على ذات الشاعر ويعرف ما يريده، فالطيف بالنسبة للشاعر عالم رحب متجدد يخرجه من اعماقه ودواخله، فيبوح بنصوصه عنها فيجدد بها المتعة بتحوله من الحرمان إلى اللقاءِ والوصلِ، فخيال المرأة عندما يترجمه بنصٍ شعري يبوح بكل مكنونات حبه لها.

References :

1. ufusY-Yusuf al(1982)a-**azalGh al-Othri** study in suppressed love, .Haqiqat, Vol.2, p. 87-Dar Al
2. Sharif Bashir Ahmed **Introduction to the Poem in Mosuli poetry in theT welfth C**Journal of research ,**entury of migration** of the Faculty of B asicE ion, f Basic Educatty oducation, Facul .University of Mosul, Vol.12, No. 4, p. 227
3. **the** ,Hani Tawfiq Asaad Ahmed Nasrallah **Sbuhtari -pectrum in Al ,a study in the phenomenon its origins and dimensions-poetry** of ies, Departmentmaster's thesis , Faculty of Arts and Humanit armouk University, under the supervision of rabic language, YA .Rubai, April 9, p. 48-Dr. Abdulkader Al
4. **whidi andTa-lA** ,Shamil-and Al Hummel-Al **M**published by ,**askuh** Sayyid Ahmad Safar, authorship, translation -Ahmad Amin and al .and Publication Committee, P. 306
5. aq Talib MenemDr. Musht **Visual Imagination in the Spectrum iontdream of connec the thirst for absence and the-of ignorance** Wasit University, Faculty of Basic Education, **,(analytical study)** .Journal of the Faculty of education, issue 35, may P.103

6. Reza Abbas Mohammad (2005) **Poetry of the Spectrum** roots magazine, part 22, Volume ,,**between Jahiliyya and Islam** .December, P.304-Ah 6a 142d'QA –Zul ,10
7. Hilal Dr. Reem **the M ovement of A ncient ArabicCriticism on Islami-pre P**University of Jordan ,**oetry**:.P.155
8. **Diwan Ibn** Masri-Din bin nabata al-ikh Jamal alShe **Nabata A-l Masri (d.768 AH) ,(** -d aln: Dr. Awaothe Editi the author of Amal printing -ghobary, General Authority for Cultural Palaces, Al .110-and publishing company, Cairo, 2007, pp. 109
9. Khalid Jafar Mubarak(2014-h1435) **Graphic Formation in the Poetry of Tramps and Deadly until the End of the Umayyad E ar** is, University of Diyala, Faculty of Education, doctoral thes , Department of Arabic language, under the supervision of: A.Dr. .i,, P. 298Fadel Abboud Khamis Tamim
10. Dr. Ahmed Matloob (1423)2001- **in Critical T , erminology** c complexitifpublications of the scien:.0P. 23
11. **the** Dr. Miqdad Khalil Qasim **Descriptive Scenes in the Poetry of** d. 660h),, Journal of Mesopotamian) **Musali-Ibn zilaq Al** -Mosul University, Faculty of Education, year 48, 1440h ,literature .g, P.872008
12. Idrisi 2012-El Youssef **Imagination and Poetry—Excavations in** the banks of Beirut publications and ,- **Islamic philosophy-Arab** .the difference publications, Algeria, Vol. 1, M, P. 25
13. -Taif and the imagination-Al Banna Ezzeddine-Dr. Hussein al ,ublishing houseara pHad-c poetry, Dar Alstudies in ancient Arabi .Vol.2, 1993, p. 10
14. ismail Dr. Ezzedine (2007**) C ontemporary ArabicP**its – **oetry** da, BeirutOu-issues and artistic and moral phenomena, Dar al:P. 136
15. 2010 ,Abdelfattah Ahmed Youssef)(,**Discourse Linguistics** and **Cultural System** the Arab House of Sciences publishers, Beirut, , .143-difference publications, Algeria, Vol. 1, m, pp. 142

Shadow in the Poetry of Ibnu Nubata Al-Masry

Faris Yasseen Mohammed Al-Hamdani *

Abstract

The frequent presence of the shadow of the beloved in the poem augments its structure and subject matter. Through the shadow, the poet substantiates his imagination recalling all subtle details with respect to his beloved. It is a powerful tool that arises feelings of separation and parting inside the poet, which affects the psyche of the poet firstly, then the audience subsequently as to the poetic and humane satisfaction the poet gets after the meeting with the shadow.

The poet's language surpasses the lexical meanings of the words more to a space of suggestions hidden in himself and he contrives to reveal them to his audience.

For the poet, the assets of nature are his raw materials by which he describes his visiting imaginary shadow of the beloved. Also, the image of the blaming person(s) is present to add to the poetic implications as the poet is aware that, to get desired response, his poems must be creative in both creation and reception. So, he meant to create varieties in order to fulfill this goal.

It is impossible to separate the poet/man and his visiting imaginary shadow of the beloved because his feelings are closely connected to the shadow, through which he expresses complaints, paining, and grieving for separation and partin.

The shadow relates to the following:

.1The shadow and nature.

.2The shadow and the blaming person(s.(

By the shadow texts, the poet built complete and tight images expressive of his experiences with his lady. Finally, the shadow in Ibn Nubuta's poetry is based on suggestiveness and imagination for both are means of revelation of his secret feelings.

Key words: formation, expressions, poetic**.**

* **Asst. Prof/Department of Arabic Language/ College of Arts/ University of Mosul.**